الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2346 - السنة الثامنة
الثلاثاء 11 ربيع الأول 1437 - الموافق 22 ديسمبر 2015
Tuesday 22 December 2015 - No.2346 - 8th Year

أورد مورخو السيرة ثلاثاً منهن

مرضعات النبي .. محمد

أورد المؤرخون الذين أرّخوا السيرة النبوية الشريفة أنه كان هناك ثلاث مرضعات للرسول الأعظم محمد – صلى الله عليه وسلم – وهنّ، السيدة آمنة بنت وهب، وحليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وثويبة مولاة أبي لهب، فأمّا آمنة بنت وهب فهي والدة الرسول الأعظم محمد – صلى الله عليه وسلم – وهي المرضعة الأولى من مرضعات الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –. وبعدها استلمت هذه المهمة ثويبة مولاة أبي لهب، وهي التي أعتقها أبو لهب، فقامت هذه المرضعة بإرضاع الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – بلبن ابنها الذي كان يسمى (مسروح)، وهي ذات المرضعة التي أرضعت أيضا عم الرسول حمزة بن عبد المطلب بالإضافة إلى إرضاعها لأبي سلمة، ومن هنا فإن حمزة بن عبد المطلب وأبو سلمة هما أخوا الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – بالرضاعة. وكانت العادة العربية في ذلك الوقت أن يأخذوا أبناءهم إلى البادية ليرضعوهم هناك، فقد جاءت مجموعة من النسوة المراضع إلى مكة المكرمة وكنّ من قبيلة بني سعد بن بكر، حيث كنّ يطلبن الأطفال ليرضعنهم، فأخذت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – لترضعه، وكانت ترضعه مع ابن لها يسمى عبد الله، وكانت ترضعه في بادية بني سعد، وكان لها زوج واسمه الحارث بن عبد العزى، أمّا بناتها فكن اثنتين وهما الشيماء وأنيسة، والشيماء هي التي كانت ترعى رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – مع والدتها حليمة السعدية. ويقال بحسب ما أورده الرواة أنّ رسول الله عندما أخذته المرضعة حليمة السعدية لترضعه انقلب الحال في منطقة سكنهم وإقامتهم، فقد كانوا يعانون من القحط والجدب، فعندما وصل الرسول إليهم انقلب حالهم إلى أفضل حال، وامتلأ الضرع، واخضرت الأرض. مكث الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – عامين كاملين في بني سعد، إلى أن فطم. وكانت حليمة السعدية تأخذه لزيارة أمه بين الحين والآخر، وبعدما فطم الرسول محمد، أرادت حليمة السعدية أن تبقيه معها في البادية، وذلك بسبب ما رأته منه من بركة حلت عليها وعلى قومها، فاستطاعات إقناع السيدة آمنة بنت وهب بذلك، وبالفعل بقي الرسول معها مدة أخرى من الزمن. أمّا بالنسبة لحادثة شق صدر الرسول محمد من قبل الملاك جبريل، وإخراجه العلقة منه، وغسيله له، ثمّ إعادته إلى مكانه، فهي حادثة أقرها بعضهم وأنكرها البعض الآخر، فهي موضع خلاف بين المختصين. أمّا حاضنة الرسول محمد التي احتضنته ورعته إلى أن كبر فهي أم أيمن التي كان الرسول كلما نظر إليها قال: (هي بقية أهلي).

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمآئه سيجزون ما كانوا يعملون»

.. العدل

مع الاسم العشرين من أسماء الله الحسنى، والاسم الذي بطالعنا هو: العدل فقد اتفقت الأمة على إطلاق هذا الاسم على الله تعالى وهو مصدر عَدَل يَعْدِل عدلاً فهو عادل، عَدل عن اسم الفاعل عادل إلى المصدر العدل، فمن إسمائه جل جلاله : الحكَمُ العَدْل. هذا المصدر أقيم مقام الاسم، كأن تقول الرب بدل الرب، والبر بدل البار، والرضا بدل الراضي، والعدل بدل العادل، إذا فاعلم أن أحد أسماء الله الحسنى العدل.

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى عدل في خلقه، وعدل في تشريعه وعدل في أمره التكويني، وفي أفعاله، أي عدل في خلقه وعدل في أمره وعدل في فعله، خلق وأمر وفعل فعدل فهو عدل.

عدل في خلقه، فمكان اليد مناسب جداً، و في موقع متوسط، و الشيء المعتدل الذي هو بين الإفراط والتفريط، فمفتاح الكهرباء مثلا إذا وضع في مكان يتناسب مع أهل البيت، فالأب يحرك يده إلى مستوى معين فيطالعه، و الأم والابن وجميع من في البيت يستعملونه براحة فهذا المكان معتدل، ولو كان مرتفعا لاحتاج الأمر إلى سلم، ولو كان منخفضا مع الأرض لاحتاج الأمر إلى أن ينبطح الإنسان ليتناول المصباح. أما أن يكون هذا المفتاح في مكان معتدل بين الارتفاع والانخفاض فهذا المكان اسمه مكان معتدل، والاعتدال من العدل والاعتدال هو التوسّط، ودائما التوسّط هو الموقف الأكمل بين الإفراط والتفريط.

و لو أن الإنسان رأى في كأس الماء كل الكائنات الحية لما شرب الماء، فلو أن العين بلغت من الدقة بحيث ترى كل شيء لاستحالت حياتنا شقاءً، ولو أنّ العين بلغت من ضعف الرؤية ألا ترى الشيء الخطر لهلكنا، إذا في الحالة الأولى إفراط وفي الثانية تفريط، فعتبة الرؤية لها حد معتدل. قاله سبحانه وتعالى عدل في خلقه.

وأما عن عتبة السمع، فهناك أصوات لا تسمعها، ولو سمعتها لما نمت الليل، فالموجات الصوتية تتخامد، وليست كالأمواج الكهرطيسية التي لا تتخامد، وقد أطلقت مركبة إلى كوكب المشتري وبقيت مركبة الفضاء تطير في الفضاء بسرعة أربعين ألف ميل في الساعة، فقضت ست سنوات إلى أن وصلت، وأرسلت منه رسائل بالراديو، وكما يقولون فإن الأمواج الكهرطيسية لا تتخامد بل تبقى سعتها هي هي، لذلك فهذه الأمواج الكهرطيسية هي سبب البث الإذاعي، والفاكس واللكس، فالأمواج الصوتية العادية تتخامد، ولو كانت كالأمواج الكهرطيسية، لسمعت في دمشق وفي هذا المسجد كل صوت في الأرض، كصوت أمواج البحار، ومعامل الفولاذ، وانفجارات البراكين، ولأصبحت الحياة مستحيلة، إذا عتبة السمع وتخامد الأصوات هذا خلق معتدل، بين الضجر الذي لا يُحتمل وبين الضعف الذي لا يقابل إذا.

(نا كل شيْء خَلقْنَاهُ بِقَدرٍ (49) (سورة القمر)

إذا قيصرك بقدر، وسمعك بقدر، ورؤيتك بقدر، والإنسان أحيانا تجرح يده فلو أمسك باب الثلاجة عندئذ لأحس بلسع الكهرباء الساكنة، ولو تناول طعاما فيه حمض لتألم، فيقال لك: عرق ملح، ولو أن الأعصاب الحسية نمت أكثر مما هي عليه لأصبحت الحياة مستحيلة، وكذلك أعصاب الضغط وأعصاب الحس والسمع والرؤية والحركة.

فمفصل المرفق في مكان معتدل بحيث يمكن أن تأكل، ولو لم يكن هذا المفصل فلابد من أن تنبطح كالقطة، إذ تضع الصحن على الأرض وتنبطح وتأكله بلسانك، ولا يوجد طريقة ثانية فمكان المفصل معتدل.

وضع اليد على الكتف، فلو كانت على الورك إلى الأسفل مع القدم لفسد كثير من أمرك، أو لو أن العين في قمة الرأس أو في الظهر أو في الكف، لاختل نظام حياتك وعملك، فما معنى: الله خلقه ؟ أيها الإنسانُ ما غرّكَ بربّكَ الكريم (6) الذي خلقكَ فسوّاكَ فعدلكَ (7) في أيّ صُورةٍ ما شاءَ ركّبكَ (8)

في رحاب سيرة رسول الله

نسب المصطفى «صلى الله عليه وسلم»

شجرة نسب الرسول عليه الصلاة والسلامهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان. ولا خلاف أنّ (عدنان) ولد إسماعيل عليه السلام .

والده

والده هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف؛ وكان عبد المطلب جدّه لما رزقه الله بعشرة من الأبناء نذر أن يذبح أحدهم فداءً لله، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على عبد الله، وكان أحبّ أولاده إليه، فمنعته قريش وأخواله من بني مخزوم، وتم فداؤه بمائة من الإبل. ثم زوّجه والده بعد ذلك من آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرَة بن كلاب، وهي من أفضل نساء قريش نسبًا وموضعًا .

وبعد فترة من زواجه خرج عبد الله تاجرًا إلى الشام، فمرض أثناء عودته، فنزل عند أخواله في المدينة، فتوفي ودُفن في دار النابغة الجعدي. وكان عمره خمسًا وعشرين عامًا، قبل أن يولد الرسول . كما توفيت والدته وهو في السادسة من عمره .

أعمام النبي محمد وعماته

رُزق عبد المطلب جدُّ النبي بعشرة من الولد: هم: العباس، وعبد الله، وحمزة، وأبو طالب، والزبير، والحارث، وحَجْل، والمقوّم، وضرار، وأبو لهب (اسمه عبد العُزّى). وعلى هذا يكون للنبي تسعة أعمام، أدرك الإسلام منهم أربعة: وهم: أبو طالب وأبو لهب فظلاّ على الكفر ولم يُسْلِمَا، بينما أسلم حمزة والعباس رضي الله عنهما. ورُزق عبد المطلب أيضا بستّ نسوة: صفيّة، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبَرّة.

صفات الرسول الشكلية

قد كان صلى الله عليه وسلم متوسط القامة ، لا بالطويل ولا بالقصير، بل بين بين، كما أخبر بذلك البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم مربوعاً-متوسط القامة-، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئا قط أحسن منه) متفق عليه.

وكان صلى الله عليه وسلم أبيض اللون، ليّن الكف، طيب الرائحة، دلّ على ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون- أبيض مستدير- ، كأنّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، ولا مَسَسْتُ ديباجة - نوع نفيس من الحرير- ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممتُ مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه مسلم .

وكانت أم سُليم رضي الله عنها تجمع عَرَقه صلى الله عليه وسلم، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دخل عليّنا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال -أي نام نومة القيلولة- عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت -تجمع- العرق فيها، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب) رواه مسلم .

وكان بصاقه طيباً طاهراً، فعن عبد الجبار بن وائل قال حدثني أهلي عن أبي قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء، فشرب منه، ثم مجّ في الدلو، ثم صُبّ، في البئر، أو شرب من الدلو، ثم مج في البئر، ففاح منها مثل ريح المسك) رواه أحمد وحسنه الأرنؤوط. وكان وجهه صلى الله عليه وسلم جميلاً مستنيراً، وخاصة إذا سُرّ، فعن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن غزوة تبوك قال: (فلما سلّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه) رواه البخاري .

وكان وجهه صلى الله عليه وسلم مستديرا كالقمر والشمس ، فقد سُئل البراء أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: (لا بل مثل القمر) رواه البخاري ، وفي مسلم (كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديرا) .

وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية، كما وصفه أحد أصحابه جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (وكان كثير شعر اللحية) رواه مسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين، ذو شعر جميل، ففي الخبر عن أنس رضي الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين، لم أر بعده مثله، وكان شَعْرُ النبي صلى الله عليه وسلم رَجِلاً لا جَعْدَ - أي لا التواء فيه ولا تقبض- ولا سَبْط - أي ولامسترسل-) رواه البخاري .

ووصفه الصحابي الجليل جابر بن سمرة رضي الله عنه فقال: (كان رسول صلى الله عليه وسلم ضَلِيعَ - واسع - الفم، أشكل العَيْن - حمرة في بياض العينين - مَنْهُوسَ العَقِبَيْن- قليل لحم العقب-) رواه مسلم .

وكان له خاتم النبوة بين كتفيه، وهو شيء بارز في جسده صلى الله عليه وسلم كالشامة ، فعن جابر بن سمرة قال: (ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده) رواه مسلم . ومن صفاته صلى الله عليه وسلم أنه أعطي قوة أكثر من الآخرين، من ذلك قوته في الحرب فعن علي رضي الله عنه قال: (كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه) رواه أحمد و الحاكم .

تلك هي بعض صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَلْقية التي نُقلت إلينا ممن رآه وصاحبه، نقلاً صحيحاً ثابتاً، إنها صفات طيبة، وصدق الصديق أبو بكر رضي الله عنه عندما قال عنه وهو يُقبّله بعد موته صلى الله عليه وسلم: (طبت حياً وميتاً يارسول الله)، فعليك أخي الزائر الكريم أن تكون قوي الصلة بصاحب تلك الصفات من خلال اتباعه، والسير على هديه، وتعميق حبه، والإكثار من الصلاة والسلام عليه، والله أعلم.